وجود التفاضل بين الأنبياء

<"xml encoding="UTF-8?>

السؤال:

ما هو الدليل القطعي على أفضلية الأنبياء على بعضهم، رغم قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِالله وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٢).

أمّا هذه الآية فتفضّل الأنبياء على بعض: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾(٣) .

الجواب:

صرّحت الآية الشريفة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ...﴾بوجود تفضيل إلهي واقع بين الأنبياء(عليهم السلام)، ففيهم مَن هو أفضل، وفيهم مَن هو مفضّل عليه، وللجميع فضل، فإنّ الرسالة في نفسها فضيلة، وهي مشتركة بين الجميع.

كما صرّحت بوجود اختلاف في علوّ مقاماتهم، وتفاوت درجاتهم، مع اتّحادهم في أصل الفضل وهو الرسالة، واجتماعهم في مجمع الكمال وهو التوحيد.

وأمّا بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ

نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...﴾، فلا يدلّ على عدم تفضيل الله تعالى بعض الأنبياء على البعض الآخر، وقوله: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...﴾ هو لسان حال المؤمنين، فالمؤمنون كُلّ منهم آمن بالله تعالى وبملائكته وبكتبه وبرسله، لا يفرّقون بين أحدٍ من الرسل، بخلاف اليهود فإنّهم فرّقوا بين موسى وبين عيسى ومحمّد(عليهم السلام)، وبخلاف النصارى فإنّهم فرّقوا بين موسى وعيسى وبين محمّد، فانشعبوا شعباً وتحزّبوا أحزاباً، مع أنّ الله تعالى خلقهم أُمّة واحدة على الفطرة، وعدم تفريق المؤمنين بين الرسل لا يدلّ على عدم وجود تفاضل بين الرسل عند الله تعالى.

ونفس هذا الكلام يأتي في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُواْ آمَنَّا بِالله وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٤).

فالآية المباركة في صدد بيان جواب المؤمنين لليهود والنصارى، وأنّهم لا يفرّقون بين أحد من الأنبياء، فيؤمنون ببعض ولا يؤمنون بالبعض الآخر، وإنّما يعتقدون بجميعهم.

١ـ البقرة: ١٣٦/

٢ـ البقرة: ٢٥٣/

٣ـ البقرة: ٢٨٥/

٤ـ البقرة: ١٣٥–١٣٦